المحاضرة السابعة: خطوات التفسير الموضوعي للسير مع الموضوع القرآني.

عند تتبع الخطوات التي ذكرها الباحثون والعلماء للسير مع الموضوع القرآني، نجد أنه يتنازعها التوسُّع والبيان والتضييق والإجمال بين باحث وآخر؛ فنجد مثلا اختصارا واضحا في هذه الخطوات عند أحمد السيد الكومي، وعبد الحي الفرماوي، وزاهر بن عوض الألمعي، ومحمد بن عمر بازمول، والتركيز على المعالم الكبرى في هذه الخطوات؛ بينما نجد آخرين أكثر وضوحا، وأحسن بيانا، وأضبط منهجا في استعراض هذه الخطوات كمصطفى مسلم، وعبد الستار فتح الله سعيد، وصلاح عبد الفتاح الخالدي؛ إذ تكاد تكون الخطوات نفسها عندهم.

ويمكن بيان هذه الخطوات كما أوردها الدكتور مصطفى مسلم في كتابه: مباحث في التفسير الموضوعي كالآتي:[1]

1: اختيار عنوان للموضوع القرآني مجال البحث، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية.

2: جمع الآيات القرآنية التي تبحث هذا الموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه.

3: ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول، وذلك لأن ما أُنزل بمكة كان في الأعم الأغلب يتعلق بأسس عامة غير محددة الجوانب كالأمر بالإنفاق أو الزكاة أو الإحسان بينما حددت معالم هذه التشريعات في المرحلة المدنية.

4: دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، والروابط بين الألفاظ في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في المجموعة التي تتحدث عن الموضوع.

5: بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع، وللباحث أن يقدم بعض العناصر الرئيسية على غيرها، إن وجد أن طبيعة البحث تقتضي ذلك أو أن تسلسل الأفكار المنطقي يلزم هذا التقديم أو التأخير.

6: ثم يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه ويحاول أن لا يقتصر على دلالة الألفاظ اللغوية وإنما يستشف الهدايات القرآنية من خلال النصوص، كما يستدل على ما

---

[1] مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – ص: 37-39.

أشارت إليه الآيات الكريمة بالأحاديث النبوية الشريفة ويدعم كل ذلك بفهم الصحابة رضوان الله عليهم لنصوص آي الذكر الحكيم.

ويوجه ويعلل ويشرح ويناقش في ضوء التوجيهات القرآنية، وإن وجد ما يوهم التناقض بين بعض الآيات التي تناولت الموضوع فلا بد من إزالة هذا الوهم، وإبراز الحكمة الإلهية في وجود مثل هذه النصوص.

7: لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع، وقد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها؛ فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات لا بد عندئذ من وضع تمهيد يبين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع.

ثم يقسم الموضوع إلى فصول وتحت كل فصل مباحث، وتحت كل مبحث مطالب؛ فيجعل العنصر الأساسي الجامع عنوانًا للفصل، ثم يجعل العنصر الفرعي عنوانًا للمبحث، ثم يجعل الجزئيات الصغيرة عناوين للمطالب.

أما إذا كان الموضوع محدد المعالم والآفاق واضح المجالات قليل العناصر، فلا بأس من بحثه عندئذ على شكل مقاله علمية تتكون من مقدمة وصلب الموضوع وخاتمة، يتناول في كل ذلك القضية المطروحة بأسلوب علمي رصين موثق بالأدلة والشواهد، وبدون خلاصة ما توصل إليه في الخاتمة بشكل موجز.

8: وليكن هدف الباحث في كل ذلك:

- إبراز حقائق القرآن الكريم، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله ووفائه بحاجات البشر وملاءمته للفطرة السليمة وإطلاقه للطاقات الإيجابية في الإنسان.

- عرض تلك الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها ملبية لاستشراف نفس القارئ، مجيبة عن استفساراته المتوقعة، وذلك باتباع الأسلوب البياني الصحيح الذي يفهمه أهل عصره، متجنبًا الألفاظ الغريبة المهجورة وأساليب السجع المتكلفة.